

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا.

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمّا بعد :

فهذه محاضرة (السلفية و الخطاب الديني)، ألقيتها مشاركة مني في مناشط دورة الإمام محمد بن عبد الوهاب بمكة المكرمة، ألقيتها بمسجد الشيخ ناصر العساف بالشرائع الجمعة ١٨ / ٨ / ١٤٣١ هـ.

وقد زدت فيها، وعدلت، وأنقصت، بحسب ما يقتضيه المكتوب، عن الملفوظ.
وقد ناقشت فيها الطعون الموجهة إلى الخطاب السلفي، وأدرت المحاضرة عليها، مع مدخل للموضوع، وخاتمة.

المدخل : فهو كيف جاءت الدعوة إلى الإصلاح الديني؟

ثلاثة أمور بين يدي رد الطعون، وهي:

الأمر الأول : إن التغير سنة الله عز وجل في خلقه.

الأمر الثاني : أن الرسول ﷺ بيّن الداء وارشد إلى الدواء!
 الأمر الثالث : أن وظيفة الإنسان في هذا الكون هي تحقيق العبودية لله رب العالمين.
 ذكر الطعون ومناقشتها ، هي التالية:
 أنه خطاب متطرف عنيف، يقصي المخالف و لا يحاور.
 أنه خطاب تراثي، يريد أن يرجع المجتمع للوراء، وان يحكم بموازين العصور والأزمنة الماضية.

- يغلب عليه أسلوب الوعظ والتذكير.
 - يغلب عليه الإرهاب، والترهيب.
 - بعيد عن فقه الواقع، فهو يناقش الأموات، و لا يناقش الواقع.
 - يحد من حرية الفكر والانطلاق، وحقوق الإنسان.
 - يعيق الأمة عن طريق التقدم والحضارة.
 - يفتقر للظهور الإعلامي.
 - بعيد عن المشاركة السياسية لأصحاب القرار.
 - يقوم على أساس تقديس الأشخاص، سواء من العلماء أو الأمراء.
- والله أسأل التوفيق والنجاح والقبول في الدنيا والآخرة.

مدخل

كيف جاءت الدعوة إلى الإصلاح الديني؟

من منطلق الحرب على الإرهاب، وتجفيف منابعه، جاءت الدعوة إلى إصلاح الخطاب الديني!

حيث [من الواضح من الوثائق الأمريكية ومن آراء بعض الخبراء الأمريكيين المتخصصين: أنَّ الإصلاح المطلوب هو تغيير ثقافي بنيوي في المجتمعات العربية والمسلمة من خلال استبدال القيم الاجتماعية الأساسية التي تحكم تصورات الناس وسلوكهم، وتشكل رأس المال الاجتماعي الذي يحمي هذه المجتمعات من الفساد والانحراف الأخلاقي وصولاً إلى تغيير القيم الأساسية الحاكمة في حياة الناس الاجتماعية لتصبح أشبه بالنموذج المستنسخ الرديء للفساد الأخلاقي الغربي]^(١).
وتتمثل التوصيات الأمريكية في:

■ تهميش الدين في الحياة الاجتماعية للناس؛ وذلك عبر إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية وحيازة التكنولوجيا الحديثة (التكنولوجيا ذات الطابع الترفيهي).

(١) قراءة في كتاب: 'الخطاب الديني بين العجيد الإسلاميين ولبيد الأمريكان'، مجلة العصر / مدي العصر / بقلم الكاتب: محمد سليمان. وقال: (وأحياناً في هذا السياق إلى مقالة "رونالد انغلهارت" و"يدمان وريس" في مجلة Foreign Policy للشبكة العربية عدد ٢٠٠٣، بعنوان "الصدام الحقيقي بين الحضارات")

■ التقريب بين الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام عن طريق تكوين لجنة عليا من المحدثين (أي المسلمين) والمسيحيين واليهود؛ لتبصير كل شعوب العالم بالتقارب بين الأديان الثلاثة - كما تتحدث الخطة - وتقتراح ضمن ما تقترحه بشأن هذه اللجنة أن تعمم هذه اللجنة توصيات ملزمة لكل الدعاة في العالم العربي والإسلامي بحيث لا يخرجون عن هذه التوصيات.

■ تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية تتضمن حدائق للأطفال والسيدات (فقدان المسجد لهيئته وخصوصيته)، وأن تتولى الإشراف عليه شخصية غير دينية ناجحة.

■ خضوع خطبة الجمعة والخطباء تحت رقابة أجهزة الأمن في الدولة، وأن يتم البعد عن تسييس الخطبة، أو تعرضها للجانب الحيائي أو المجتمعي بمعنى (علمنة الخطبة)، أي منع الحديث عن الأمريكان أو اليهود، أو الحديث عن الجهاد وبني إسرائيل.

وتهدف الخطط الأمريكية إلى أن تصبح خطبة الجمعة حلقة نقاشية للجميع لا ينفرد بها الخطيب وحده؛ حيث ستكون الخطبة بذلك أكثر ديمقراطية - في نظرهم، كما تهدف أن تشارك المرأة في خطبة الجمعة، حيث رأوا أنه لا توجد نصوص دينية تمنع المرأة من ذلك.

■ وأن يكفل للمرأة سبل الاختلاط مع الرجال والمشاركة في التدريب على الانتخابات لتعليم المرأة الديمقراطية.

■ إلغاء مادة التربية الدينية الإسلامية، مع تخصيص يوم كامل للقيم الأخلاقية والمبادئ بدلاً منها، والعمل على اكتساب الطلاب مهارات التسامح،

والتححر من اعتقاد المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس!، وأن يعلم الجميع أن العقائد والأديان هي نتاج التنشئة الاجتماعية والأفكار المسبقة، وأن الانتماء للإنسانية هو الجامع لهم، أما المعتقدات فهم أحرار فيها^(١).

هذه الدعوة إلى الإصلاح الديني، استغلها بعض الناس، فرصة له، فوجه سهام النقد إلى الخطاب الديني، لدى علماء أهل السنة والجماعة، الذين يسيرون على نهج السلف الصالح؛ فأديرر الخصومات، و الحوارات ضد من يرونهم يمثلون التيار السلفي باسم إصلاح الخطاب الديني؛

فتارة يقولون: التكفير والعنف، سببه كتب أئمة الدعوة.

وتارة يقولون: هؤلاء لا يعيشون واقعهم.

وتارة يقولون: إلى متى تمضي الأوقات في مناقشة الأموات؟!

وتارة يقولون: لابد من عصرية المواجهة.

وتارة يقولون: هؤلاء ليس لديهم إلا الوعظ.

وتارة يقولون: سمتهم الترهيب والوعيد.

ومجمل ملامح من يدعون إلى إصلاح الخطاب الديني، في خصومتهم مع

السلفين، تتلخص في اتهامهم الخطاب السلفي بالأمور التالية:

- أنه خطاب متطرف عنيف، يقصي المخالف ولا يحاور.
- أنه خطاب تراثي، يريد أن يرجع المجتمع للوراء، وان يحكم بموازين

(١) مجلة لينا، العدد (٩٥)، ١، ذو القعدة ١٤٢٤، ١ يناير ٢٠٠٤. تجديد الخطاب الديني - يريدون أن

العصور والأزمة الماضية.

- يغلب عليه أسلوب الوعظ والتذكير.
 - يغلب عليه الإرهاب، والترهيب.
 - بعيد عن فقه الواقع، فهو يناقش الأموات، ولا يناقش الواقع.
 - يحد من حرية الفكر والانطلاق، وحقوق الإنسان.
 - يعيق الأمة عن طريق التقدم والحضارة.
 - يفتقر للظهور الإعلامي.
 - بعيد عن المشاركة السياسية لأصحاب القرار.
 - يقوم على أساس تقديس الأشخاص، سواء من العلماء أو الأمراء.
- لعل هذه النقاط العشر- تحصر- سهام النقد، الموجهة إلى الخطاب الديني، ويعتمد عليها من يدعو إلى تجديده.

وقبل مناقشة هذه التهم، أقدم الأمور التالية:

الأمر الأول : إن التغير سنة الله عز وجل في خلقه.

وقد جاء في الحديث عن العرباض بن سارية قال "وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ".

وفي لفظ ابن ماجه قال : فقال رسول الله ﷺ : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم ما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنها المؤمنون كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد" (١).

(١) حديث حسن رواه العرياض بن سارية رحمه الله: أخرجه أحمد في ١٢٧٠٠، والداودي في المقدمة، باب ١٢٨٤، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في الأخذ بسنة وطعن ابن أبي عمير، حديث رقم ٦٧٦، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٤، وابن أبي عمير في المقدمة، باب ١٢٨٤، حديث رقم ٥٤٢٠. والحديث قال الترمذي رحمه الله: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَى ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ عَنْ الْعَرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ هَذَا حَدِيثَنَا بَلَدًا لَمْ يَلْحَظْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَلَّالِ وَعَبْدُ وَاحِدٍ قُلُوبًا حَدَّثَنَا أَبُو وَهْدٍ عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ عَنْ الْعَرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ هَذَا حَدِيثَنَا بَلَدًا لَمْ يَلْحَظْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَلَّالِ وَقَدْ رَوَى هَذَا

ومحل الشاهد قوله ﷺ: "ومن يعيش منكم فسيري اختلافاً كثيراً".

وهذا معناه حدوث تغير بعد وفاته ﷺ.

ويدل على صحة ما ذكرته لك ما جاء عن سالم قال: سَمِعْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ

تَقُولُ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَهُوَ مُغْضَبٌ فَقُلْتُ: مَا أَغْضَبَكَ؟

فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا" (١).

قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): "قوله: "(يصلون جميعاً) أي: مجتمعين،

وحذف المفعول وتقديره الصلاة أو الصلوات، ومراد أبي الدرداء أن أعمال

المذكورين حصل في جميعها النقص والتغير إلا التجميع في الصلاة، وهو أمر نسبي

لأن حال الناس في زمن النبوة كان أتم مما صار إليه بعدها، ثم كان في زمن الشيخين

أتم مما صار إليه بعدهما وكأن ذلك صدر من أبي الدرداء في أواخر عمره وكان ذلك

في أواخر خلافة عثمان، فيا ليت شعري إذا كان ذلك العصر- الفاضل بالصفة

المذكورة عند أبي الدرداء فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلى هذا الزمان؟" (٢).

فالتغير حاصل في الأمة، ولذلك أخبر ﷺ فيما جاء الخبر عن تجديد الدين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيْمَا أَعْلَمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى

الْحَدِيثُ عَجْرِي عَجْرِي عَنْ عَرَبَاضِ بْنِ سَارِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُهُ أَهْ، وَهَذَا مِنْهُ الْعَلَامَةُ الْأَبْنِيُّ

فِي إِرْوَاءِ الْغِلَالِ (٧/٨ ١٠)، حَدِيثٌ قَدْ م (٢٤ ٥٥).

() أَخْبَرَهُ أَبُو خَارِي فِي كِتَابِ الْأَنْفَاءِ، بِإِسْنَادٍ لَمْ يَصْلُحْ فِي جَمَاعَةٍ، تَحْتَ قَدْ م (٦٥).

() أَخْبَرَهُ الْبَارِي (١٣ ٨٧)، وَانْظُرْ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ (٥٧ ٧٢٠ ٢٠).

رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا" (١).

و المراد من التجديد - كما بيّنه في عون المعبود - : إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات.

فليس معنى تجديد الدين تغييره، أو إلغاء بعض ما جاء فيه، أو الخروج عن أصوله، لا؛ فإن الدين صالح ومصلح لكل زمان ومكان. فالتغير والاختلاف عما كان عليه الأمر الأول حاصل.

وعلاجه بالرجوع إلى الدين، الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهو الإصلاح.

الأمر الثاني : أن الرسول ﷺ بين الداء وارشد إلى الدواء!

عن ابن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" (٢).

(١) أخوه أبو داود في كتاب الصلاة م باب ما جاء في قرن المائة، حديث رقم (٩ ٤٢).

(٢) أخوه أحمد في المسند - الرسالة (١/ ٤٠ ٤)، تحت رقم (٥ ١٠ ٤)، تحت رقم (٧ ١٠ ٥)،

(٩٥٩ ٣)، تحت رقم (٥٦٢ ٥)، وأبو داود في كتاب الصلاة م باب: في الهبة من العينة، حديث رقم

(٢ ٤ ٣)، وأبو يعلى في المسند (٩٧٠ ٤)، تحت رقم (٦٥٩ ٥)، ولا يفي في السنن الكبرى

(٦٤ ٣١). والحديث ضعفه محمد ولم يسند. وأشار إلى حقه في سنة محمد رقم سند أبي لمع هو حقه الألباني

حججه طرقه، فقد أورده في سلسلة سلة حقه حديث رقم (١١ ١). ولم يحث شاهد بن

معه ومرفوعاً: "لا تملأوا الضيعة؛ فتتروا في الدنيا"، أخوه أحمد (الرسالة ٦/ ٥)، تحت رقم

(٩٥٩ ٣)، والترمذي، وأورده الألباني في سلسلة سلة حقه تحت رقم (١٣ ١). فالحديث

ولا طريق للناس إلى الرجوع إلى الدين إلا بالعلماء، فإذا أضاعوا حقَّ العلماء، وما عَادُوا يَعْرِفُونَهُمْ، وزهدوا فيهم، واتَّخَذُوا رِءُوسًا جُهَّالًا؛ كيف يرجعون إلى الدين؟!

والدين هو ما جاء في حديث جبريل لما ذكر الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأُشْرَاطُ السَّاعَةِ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ: "ثُمَّ انْطَلَقَ -يعني: السائل الذي جاء يسأل على تلك الهيئة العجيبة- فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" (١).

فإذا أسقط العلماء، واتَّخَذَ النَّاسُ رِءُوسًا جُهَّالًا؛ مَنْ يَعود بالناس إلى دينهم؟! كيف يَخْرُجون من حال الذُّلِّ والهَوَانِ بدون العلماء؟!

عن بُسْرِ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ الْخَضْرَمِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟

قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ.

=

حسن بن لغيره.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإسلام، والإيمان، والإحسان، حديث رقم (٨) عن عمر

بن الخطاب رضي الله عنه.

قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرُ مِنْ شَرِّ؟ قَالَ : نَعَمْ دُعَاةُ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟
 فَقَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا^(١).
 قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟
 قَالَ : تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ.
 قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ؟
 وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصِ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

وهذا الحديث حذر من دعاة الضلالة، الذين هم على أبواب جهنم، من تبعهم قذفوه فيها.

وأرشد إلى العلاج في لزوم الجماعة والسمع والطاعة.
 وأشار بذلك إلى أن محور دعوة دعاة الضلالة : دعوة الناس إلى ما يفارقون به الجماعة، ويخرجون به عن السمع والطاعة لولاة الأمر.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ : "أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ

(١) ق ف على صفة دعاة الضلالة، والسرول ﷺ ولم سلمين إذاك ثوهؤلاء بلزوم الجماعة، فهنلد يل

الجماعة بن ستة هؤلاء، لا تكفير ولولة الله، والخروج عليهم بنو حنلة بن الناس ضلهم.

(٢) أخو به بخاري في كتاب المنلق، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٦٦٠٣.

رسول الله ﷺ يقول: "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يَغُلُّ عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم... " الحديث (١).

وهذه الخصال الثلاث قد جمعت ما يقوم به دين الناس ودنياهم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "لم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها" اهـ (٢).

ولا شك أن من المتابعة للشرع منابذة البدع وأهلها!

الأمر الثالث : أن وظيفة الإنسان في هذا الكون هي تحقيق العبودية لله رب العالمين، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذريات: ٥٦)، وهذه العبودية تقوم على أصليين:

- أن لا نعبد إلا الله.

- وأن نعبد بهما شرع.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة: ٥).

ومقتضى ذلك أن نتبع ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وأن لا نخرج عن

(١) وجاء هذا الحديث بأسانيد بعضها جيدة، وبعضها سنة وبعضها معطوف على جماعته بطلاً حجة ،

في وقت واطر. ينظر: رسالة ، "دراسة حديث: نضر الله امرءاً للشيخ عبد الله حسن لم ياد.

(٢) سؤال الجاهلية ، ضمن مجلة دعوة الجيد المجلية ، ط ١ سلفية ، القاهرة ، ١٥ ١٣ هـ ، ص ٢٣ ١٧-٢٣.

سبيل المؤمنين .

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" (١) .

قال ابن تيمية - رحمه الله -: "من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، مُحَرِّفٌ للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام" اهـ (٢) .

إذا تقرر ذلك، فإني أعود إلى مناقشة الأمور التي ينقمها خصوم السلفيين عليهم، وهي التالية:

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيثار، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم ٥٥٥٠، وابن بطّة في الإبانة الكبرى / الشامة، تحت رقم ٤٠٢، والخطم في المستدرک () ، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ سَمِعْتُ مِنْ غَرِيبٍ هُوَ سَرَّ لَا نَعْفُو عَنْهُ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ .

() جَعْلُهُ تَأْوِيلًا (٣ / ٢٤٣) .

قولهم : "أنه خطاب متطرف عنيف، يقصي المخالف ولا يحاور".

أقول: هذه التهمة ما دليلها؟

ما حجة هؤلاء في زعمهم؟

هذا القول بعيد كل البعد عن الواقع، إذ كيف يكون الخطاب الديني المبني على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وفهم السلف الصالح مبنياً على التطرف والعنف، وإقصاء المخالف، وترك الحوار؟!!

أليس في القرآن والسنة دعوة إلى الحكمة والترفق؟!!

أليست الشريعة تقوم على الوسطية؟

ألم يقيم أهل السنة والجماعة اتباع المنهج السلفي بالتحذير من أهل التطرف والغلو؟

ألم يقوموا هم أنفسهم بمهاجمة المتشددين، ودعوتهم إلى الصراط المستقيم؟
التطرف والعنف عند المخالفين للمنهج السلفي الخارجين عن اتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه!

أمّا من سار على منهج السلف فإنه بعيد كل البعد عن التطرف والتشدد والعنف!

ولأورد دليلاً على أن المنهج السلفي بعيد عن العنف، والتطرف، وترك الحوار، وهو حديث مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما ومحاورته للخوارج:

عن عكرمة بن عمار العجلي ثنا أبو زميل سماك الحنفي ثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف أتيت عليا فقلت : يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلّي آتي هؤلاء القوم فأكلهم .

قال : إني أخاف عليك .

قلت : كلا .

قال ابن عباس : فخرجت إليهم و لبست أحسن ما يكون من حلل اليمن .

قال أبو زميل : كان ابن عباس جميلا جهوري .

قال ابن عباس : فأتيتهم و هم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم

فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس فما هذه الحلل ؟

قال قلت : ما تعيرون علي لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن

ما يكون من الحلل و نزلت : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق ﴾ ؟!

قالوا : فما جاء بك ؟

قلت : أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه و سلم من المهاجرين و

الأنصار لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعلیهم نزل القرآن و هم أعلم بالوحي منكم و فیهم أنزل ﴿ و ليس فیكم منهم أحد ﴾ .

فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول : ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ .

قال ابن عباس : و أتيت قوما قط أشد اجتهادا منهم مسهمة و جوههم من

السهر كأن أيديهم و ركبهم تشني علیهم فمضى من حضر

فقال بعضهم : لنكلمنه و لننظرن ما يقول .

قلت : أخبروني ماذا نقمتم على ابن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و

صهره و المهاجرين و الأنصار ؟

قالوا : ثلاثا !

قلت : ما هن ؟

قالوا : أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله و قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام آية: ٥٧)، و ما للرجال و ما للحكم .

فقلت : هذه واحدة

قالوا : و أما الأخرى فإنه قاتل و لم يسب و لم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفارا لقد حل سبيهم و غنيمتهم و لئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ؟!

قلت : هذه اثنتان فما الثالثة ؟

قال : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

قلت : أعندكم سوى هذا ؟

قالوا : حسبنا هذا.

فقلت لهم : أرايتم أن قرأت عليكم من كتاب الله و من سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ما يرد به قولكم أترضون ؟

قالوا : نعم

فقلت : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله، فأنا عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب و نحوها من الصيد فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ (المائدة آية: ٩٥)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (المائدة آية ٩٥)، فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب و نحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم و صلاح ذات بينهم ؟ و أن تعلموا أن الله لو شاء لحكم و لم يصير ذلك إلى الرجال.

و في المرأة و زوجها قال الله عز و جل : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا

حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴿ (النساء آية ٣٥)، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟

قالوا : نعم .

قال : و أما قولكم : قاتل و لم يسب و لم يغنم ؛ أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها، فلئن فعلتم لقد كفرتم و هي أمكم و لئن قلتم ليست أمنا لقد كفرتم فإن كفرتم فإن الله يقول : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب آية ٦) فأنتم تدورون بين ضلالتين أيها صرتم إليها صرتم إلى ضلالة.

فنظر بعضهم إلى بعض قلت : أخرجت من هذه ؟

قالوا : نعم .

و أما قولكم : محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا أتيكم بمن ترضون و رأيكم قد سمعتم أن النبي صلى الله عليه و سلم يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو و أبا سفيان بن حرب فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمر المؤمنين : أكتب يا علي هذا ما اصطلاح عليه محمد رسول الله .

فقال المشركون : لا و الله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك !

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم إنك تعلم أني رسول الله أكتب يا علي هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله فو الله لرسول الله خير من علي و ما أخرجه من النبوة حين محا نفسه .

قال عبد الله بن عباس : فرجع من القوم ألفان و قتل سائرهم على

وقولهم : "إنه خطاب تراثي، يريد أن يرجع المجتمع للوراء، وان يحكم بموازين العصور والأزمنة الماضية".

أقول: لا أفهم ما معنى تراثي في هذا السياق؟!

هل الرجوع إلى آثار السلف، وما كان عليه الرسول ﷺ والصحابة هو المراد بوصف (تراثي)؟

هل يستطيع أهل علم من العلوم أن يتطوروا في مجالهم دون أن يبنوا دراساتهم وأبحاثهم على ما سبقهم، ويبدؤوا من حيث انتهى من قبلهم؟!
وهكذا في كل شيء، وهذا ما يقتضيه العقل الصحيح، والنظر المستقيم، فلماذا ينقم ذلك على السلفين؟

إن المنهج السلفي يقوم في فهم نصوص الشرع على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان.

وهذا أصل في التلقي يتمايز به هذا المنهج عن غيره!

فلا يعتمد السلفيون على مجرد اللغة أو العقل في فهم نصوص الكتاب والسنة؛ لأنهم يعلمون أن السلامة في الاتباع، والخطر في الخروج عن هذا السبيل، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ يَحْيِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ

وسبق حديث الرسول ﷺ لما ذكر التفرق، وذكر الفرقة الناجية فسئل عنها،

فقال: " قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" (٢).

والرجوع في كل فن إلى أهله، مما تعارف عليه الناس!

وهل رأيت من يستطيع أن يطور في فن من الفنون دون الرجوع إلى أهله،

والدراسات السابقة، لينني عليها؟

إن الانفصال عن السلف في فهم القرآن العظيم وسنة الرسول ﷺ، انفصال

عن سبيل المؤمنين، وعن خير القرون، واندراج في سلك أهل التفرق والاختلاف!

بل وطريق إلى الزندقة في الدين!

فإن تفسير الدين إمّا أن يرجع فيه إلى سبيل المؤمنين المذكور، وإمّا أن نقع فيه

بين اتجاهات عندية أو عنادية أو لا أدرية؛

فتارة تجد من يقول في تفسير الدين: هذا هو المراد عندي، وذلك هو المراد

عندك.

وتارة تجد من يقول: هذا هو المعنى، مهما أقيمت أدلة على خلافة.

(١) أخوه بلخاري في كتاب الشبهات ، باب لا يشهد على شهادته وإذا أشهد ، حديث رقم ٣٥ ٤ ،

و سلم في كتاب فضائل حقه ، باب فضائل حقه ، حديث رقم ٣٣ ٢ .

(٢) أخوه الترمذي في كتاب الإيثار ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، حديث رقم ٥٥ ٤ ، وابن بطّة

في الإبانة الكبرى / الشامة ، تحت رقم ٤ ٢ ، والحكم في الاستدراك () ، قال أبو عيسى هذا

حديث حسن غريب لم نعرفه ل هذا الأمر من هذا الوجه .

وتارة تجد من يقول: لا أدري، يمكن يكون هذا، ويمكن أن يكون هذا!
وهل هذه إلا طرائق السفسطة، التي ينفون بها حقائق الأشياء، فيسلكها
هؤلاء، وتنتفي حقيقة الدين!

إن أهل السنة يفسرون الدين بذلك السبيل، أمّا أمور الدنيا فإذا لم تخالف
الشرعة فالأصل في العادات والمعاملات الإباحة، وأن ينظر الناس إلى ما ينفعهم!
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: لَوْ لَمْ
تَفْعَلُوا لَصَلَحَ قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا
قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" (١).

عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ
الذَّكْرَ فِي الْأُنْثَى فَيُلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ
شَيْئًا! قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ
فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ
إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٢).

فلا يحكم السلفيون فيما ينفع من أمور الدنيا ولا يخالف الشرع،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضل، باب باب جوف بواب أمثال ما قلناه شرعاً دون ما ذكرهم من معاش الدنيا على سبيل النجاة، حديث رقم ٢٣٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضل، باب باب جوف بواب أمثال ما قلناه شرعاً دون ما ذكرهم من معاش الدنيا على سبيل النجاة، حديث رقم ٢٣٠٦.

بموازين العصور والأزمنة الماضية، لكل زمان ومكان ما يختص به من أمور الدنيا،
فيما ينفع الناس، ولا يخالف الشرع .

و لا يريدون أن يرجع المجتمع للوراء، بل يريدون له التقدم والنماء والتطور،
"أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" .

وقولهم: "يغلب عليه أسلوب الوعظ والتذكير".

أقول : أسلوب الدعوة ينطلق مما علمنا إياه الله عز وجل في القرآن العظيم، وبلغناه نبينا الكريم، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥) .

والقرآن العظيم كتاب فيه موعظة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧) .
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِمَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (النور: ٣٤) .

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "وعظ: الوعظ زجر مقترن بتخويف.
قال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم،
قال تعالى: ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾، ﴿قل إنما أعظكم﴾، ﴿ذلكم توعظون﴾،
﴿قد جاءكم موعظة من ربكم﴾، ﴿وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى﴾،
﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾، ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً﴾، ﴿فأعرض عنهم وعظهم﴾" اهـ^(١)

والسلوك الإنساني هو نتيجة اعتقاد، وفكرة، وعاطفة، ودوافع.
والوعظ ينجع في ذلك جميعه، لذلك كان التذكير برحمة الله، وبغضب الله،
بالجنة ونعيمها، والنار وجحيمها من أنفع ما يعالج به سلوك الإنسان إذا ما خرج

عن الصراط المستقيم. فلا لوم على السلفيين في كونهم يستعملون هذا الأسلوب!
ولا لوم عليهم في كون هذا الأسلوب غالب عليهم؛ إذ أسلوب بيان
الأحكام، وتقريرها، ومخاطبة العقل، لا ينفع عادة مع عامة الناس، الذين هم
بحاجة ماسة إلى التذكير بالله وباليوم الآخر!

وقولهم : " يغلب عليه الإرهاب، والترهيب".

هذا خطأ، والخطأ الفردي لا يمثل إلا صاحبه، إذ الصحيح أن الترهيب قرينه الترغيب، وأن يكون المؤمن بين الرجاء والخوف.

وليس من الدين في شيء اتخاذ الخطاب بالترهيب دون الترغيب، والرسول ﷺ إنما أرسله الله بشيراً ونذيراً.

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبا: ٢٨).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤).

ودين الرسول ﷺ الحنيفية السمحة وأمر بالتيسير وترك التشديد والتنطع.
عن ابن عباس قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ" (١).

(١) أخوه أحمد في المسند (الرسالة ١٤)، تحت رقم ٤١٠٧، وفي بخاري في الأدب المفرد صحيح الأدب المفرد ٢٢، تحت رقم ٨٧٢٠، وفي ابن جرير في مسنده (المعجم ١٤)، تحت رقم ٤٦٧، وعنه في بخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر قوله ﷺ: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة". والحديث حسن إسناده بإسناد جوف في بخاري (٨/ ٥٨) وسنه لغيره الألباني في صحيح الأدب المفرد، وكذا في سلسلة الأحاديث طلبة صحيح حديث رقم (٨٨)، وكذا تحقق في المعجم، وهو صحيح لغيره محقق في المسند.

والحديث نص في أن الإسلام حنيفية سمحة، والسماحة تتنافى مع اتخاذ وسيلة الترهيب وحدها مركبا وسبيلا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا إِنَّمَا بَعَثْتُ ميسرين ولم تبعثوا معسرين" (١).

والحديث يأمر بالتيسير وترك التنفير والتعسير، مما يستلزم ترك الغلو وطلب الوسط، إذ اليسر هو السماحة وترك التشدد، وخير الأمور الوسط. وقد بوب البخاري على الحديث في كتاب الأدب "باب قول النبي ﷺ: "يسروا ولا تعسروا"، وكان يجب التخفيف واليسر على الناس".

وقد أخذ العلماء بهذه الأمر، فقعدوا قاعدة فقهية هي من قواعد الفقه الكبرى (٢)، والتي عليها مدار الفقه الإسلامي، وهي قاعدة: "المشقة تجلب التيسير"، ومن فروعها: "الضرورة تبيح المحظورة"، "الرضى بأهون الضررين لدفع أعلاهما إذا لم يكن من أحدهما بد" (٣).

(١) أخوه البخاري في كتاب العلم باب ما كان البني خ لهم، حديث رقم (١٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والميراث، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، حديث رقم (٧٤) (١).

(٢) انظر: الألباني والنظائر للسيوطي ص ٧، وجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ص ١٥، وقواعد الفقهية الخمس الكبرى، وقواعد المندرجة تحتها من مجموع له تأوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٣ ٣٣ ٩٢ ٢٣.

(٣) فسخ الباري (٥/١٠ ٥). وهذه القاعدة الفرعية معدودة في كتب قواعد الفقهية ضمن فروع قاعدة: "لا ضرر ولا ضرار"، أو "الضرر يزال"، ولا تملح في تعدل تحت القاعليته، فإنه من لا يتسير ولا ضي بها من الضررين إذا لم يكن من إحلا هملبه، ومن الضرر الذي يزل، ففعل الضرر الأعلى بالأذى، ويدل =

وفي صحيح مسلم عنه عليه السلام أنه قال: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا" (١)، وهم المتعمقون المتشددون.

فأين هذا عن من يتخذ الترهيب فقط وسيلة لدعوة الناس!
ولا أطيل في الرد، إذ هو والحمد لله من الأمور المقررة، والسلفية منه براء!
ومن هذا قول بعضهم: "إن كتب أئمة الدعوة تحمل في طياتها الإرهاب،
والتكفير".

أقول: هذه دعوى، لم يأتوا عليها بدليل، هل مجرد إيراد التكفيريين لكلام
أئمة الدعوة السلفية يعني أن كتبهم تقرر التكفير؟! هل يقال عن القرآن العظيم
والسنة النبوية أنها تحمل في طياتها التكفير والإرهاب؟
إن كتب أئمة الدعوة كتب علم يقوم على أساس القرآن العظيم والسنة
النبوية وكلام الصحابة، ومن اتبعهم بإحسان، لا تقرر مسائل التكفير بطريقة
التكفيريين، ولا تدعو إلى الإرهاب الذي يدعو إليه الإرهابيين!
ولا يستطيع أحد - إلا ما شاء الله - أن يأتي بكلام لأئمة الدعوة فيه خلاف
الحق في هذا الباب، إلا ما يجده مما حمل فيه كلام العالم على غير وجهه!

=

على ما ذكرت له جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتابه الطب باب صب الماء على الرأس،
حديث رقم ٥٢٠ من أبي هريرة قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ بَالٍ فِي مَلْءِ جَهْفٍ تَأَوَّلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ الْبُيْهَقِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ عليه السلام مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْبُولٍ مِنْ مَاءٍ فَإِنَّهَا جُعْشٌ ثُمَّ يَسْرِينُ وَلَمْ تَجْعَلُوا
مُسْرِينَ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن في شرح الفتح الربيعي.

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب هلك المتنطعون، حديث رقم ٦٧ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقولهم: "بعيد عن فقه الواقع، فهو يناقش الأموات، ولا يناقش الواقع".

أقول: هذه فرية، والواقع خلافها، وحسبنا الله ونعم الوكيل!

إن الاهتمام بواقع المسلمين، ومعالجة مشاكل الناس على هدى من دين الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ هو سمة السلفية وسبيلها.

ليس فقه الواقع هو تتبع التحليلات والتخمينات الصحفية، والمقالات الثورية!

إن فقه الواقع هو المعرفة بالسياسة الشرعية وتطبيق أحكام الشرع في التعامل مع الولاة والعلماء وعامة الناس، وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وذلك امثالاً لما جاء عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" (١).

والسلفيون هم خير من يطبق هذا ويقوم به!

وحيثما تبحث المسائل وتناقش الأقوال، وينظرون في النوازل المستجدة، إنما يتمسكون بأصول المنهج العلمي في البحث.

وأي عاقل يقول: أن يبدأ الإنسان البحث من حيث بدأ الآخرون؟!

أليس الصحيح أن نبدأ من حيث انتهى من قبلنا ونناقش أقوالهم إذا احتاجت إلى نقاش ونبني على ذلك!

(١) عظماء البخاري في كتاب الإيمان باب في الرد على من يقول: "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين"، وأخوه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٥٥) من حديث تميم الداري ﷺ.

أليست الدعوة إلى الانفصال عن من سبقنا تحمل في طياتها ضياع الدين
والانسلاخ عن الصراط المستقيم، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾
(النساء: ٦٩).

وكيف يحسن معالجة الواقع بدون النظر في تجارب وأقوال من قبلنا، ألسنا
بهذا نختصر المسافات، ونسارع في الوصول إلى العلاج الصحيح الناجع؟!

وقولهم: "يحد من حرية الفكر والانطلاق، وحقوق الإنسان. ويعيق الأمة عن طريق التقدم والحضارة".

أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!

بل هل كانت انطلاقة الفكر وتجديده ومعرفة حقوق الإنسان إلا بهدى اتباع الشرع والأخذ بما جاء عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، والمشي على سبيل السلف الصالح. ألم تكن الحضارات الإنسانية السابقة للإسلام والقائمة في وقت ظهوره محل مقت الله تعالى!

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ.

وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلِّهِمْ وَإِيَّاهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا.

وإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِابْتِلَاكِكَ وَأَبْتَلِي بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ.

وإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخَرَجُوكَ وَاغْزِهِمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ.

قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ:

ذُو سُلْطَانٍ مُّقْسِطٌ مُّتَصَدِّقٌ مُّوَفَّقٌ .

وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى .

وَمُسْلِمٌ وَعَفِيفٌ مُّتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ .

قَالَ : وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ :

الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا .

وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ .

وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُجَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ .

وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ .

وَأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى

أَحَدٍ" (١) .

ففي هذا أن الحضارة والمدنية وكل علو في شأن الدنيا، ليس محلا لأن يلتفت

إليه، أو يشار إليه، بل محل للمقت والذم، وعدم الرضا.

وفيه أن الدين والقيام بطاعة الله واتباع أمره هو المعول عليه، وهو المقصود.

فالغرض الذي يسعى إليه المسلم هو الآخرة، والقيام بشرع الله في الدنيا،

ويعلم أن ما تركه من الدنيا سيعوضه الله إياه في الآخرة!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [في قصة خبر

طلاقه ﷺ لأزواجه]: "... فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمُنْبَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات ١٤١٠ يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، حديث

فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْمَشْرَبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ
 أَسْوَدٌ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ
 لَهُ فَصَمَتَ فَاَنْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمَنْبَرِ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ
 فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمَنْبَرِ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ
 الْغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي قَالَ:
 أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ
 حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا
 لَيْفٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: لَا ثُمَّ
 قُلْتُ: وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا
 قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ
 رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: لَا يَغُرَّنَكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكَ
 وَأَحَبَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَائِشَةَ فَتَبَسَّمَ أُخْرَى.

فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ.

ثُمَّ رَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْتِهِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يُرْدُ الْبَصَرَ. غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةَ
 فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطُوا الدُّنْيَا
 وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ.

وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَوْفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخُطَّابِ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ

طَبَائِئُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي" (١).

فالمؤمن في الدنيا يعيش للآخرة، ولا يلتفت إلى ما خص به الغير من أمور الدنيا الفانية. ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

ولم تأت أي إشارة في القرآن العظيم إلى الترغيب في الحضارة المدنية التي كان عليها الروم والفرس، بل على العكس جاءت النصوص تذم الكفر والكافرين، بدون استثناء.

وقد جاء في شرع الله بيان الطريق للعزة والقوة والتمكين في الدنيا وهو نفس الطريق المطلوب من المسلم سلوكه.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

ومع هذا فقد شهد الأعداء بفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الحديثة، وأنها إنما وصلت إلى ما وصلت إليه بسبب الحركة العلمية والنشاط العلمي للمسلمين، وقرأ إن شئت كتاب: "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرق الألمانية زيغريد هونكنه، والفضل ما شهد به الأعداء.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب الغرفة والعلية المشرقة، حديث رقم (٦٨ ٤٤)،

و مسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء وط، رجال المسند، حديث رقم (١٩ ١٤).

وقولهم: "يفتقر للظهور الإعلامي، بعيد عن المشاركة السياسية لأصحاب

القرار".

أقول: هذا مدح لهم، فهم لا يبحثون عن الشهرة الإعلامية، ولا الفرقعات الدعائية، إنما همهم الدعوة والصالح والإصلاح!

وهذا الشافعي من أئمة السلفيين يقول: "قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني" (١).

أمّا عدم مشاركتهم في السياسة فهذا من قلب الحقائق، فإن مشاركة السلفيين لولاة الأمر بالنصيحة ودعوة الناس إلى السمع والطاعة في المعروف، ونبذ الاختلاف عليهم، وحثهم على لزوم الجماعة، من أظهر ما يكون.

وهل السياسة إلا ذلك؟!

أم تريدون سياسة الاختلاف والمعارضة وخلق المشاكل والسعي إلى الحكم؟
أما سمعتم قول الرسول ﷺ فيما عن جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا: عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَآثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥). وجاء في هطاش لسيرة قول لم يمتد في توثيق هذه القولة: "آداب

الشافعي" ص ٢٠، و"حلية الأولياء" (٩ / ١١٩)، و"تهذيب الأسماء واللغات" (١ / ٤٠)، و

(٢٥٣).

توالي لتأسيس" ص ٢٠، و"لبداية" (١٠ /

أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ" (١).

والبيعة التزام بالطاعة في طاعة الله، فإنه لا طاعة في معصية الخالق.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ: "وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عَنْقَ الْآخِرِ" (٢).

٢

(١) أخوه ٤٤ بخاري في كتاب الله، باب قوله ﷺ: "سترون"، حديث رقم ٥٨٧، وهو مسلم في

كتاب الإمامة، باب من طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم ٧٩١ (١).

(٢) أخوه ٤٤ مسلم (تحت رقم ١٥٤).

وقولهم عن الخطاب السلفي: إنه "يقوم على أساس تقديس الأشخاص،

سواء من العلماء أو الأمراء".

فأقول: هذه تهمة باطلة!

المنهج السلفي يقوم على ترك تقديس الأشخاص، ونبذ تقليدهم وكلماتهم في هذا أشهر من تذكر.

فالسلفية تدم التقليد لمن يستطيع معرفة الدليل والنظر فيه.

وتدم التقليد لمن يتعصب لقول صاحبه وإن خالف الدليل.

وتدم التقليد كسييل للعلم، فقد نقل عنهم أنهم لا يختلفون أن التقليد ليس بعلم.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "العلم المشرع والنسك المشرع مأخوذ عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأما ما جاء عن بعدهم فلا ينبغي أن يُجعل أصلاً، وإن كان صاحبه معذوراً، بل مأجوراً لاجتهاد أو تقليد.

فمن بنى الكلام في العلم -الأصول والفروع- على الكتاب والسنة والآثار الماثورة عن السابقين؛ فقد أصاب طريق النبوة، وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسمع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدي الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه؛ فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدى.

تجد الإمام أحمد إذا ذكر أصول السنة قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وكتب كُتب التفسير المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وكتب الحديث والآثار الماثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وعلى

ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه، حتَّى قال في رسالته إلى خليفة وقته المتوكل:
 "لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن رسول
 الله ﷺ أو الصحابة أو التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود".

وكذلك في الزهد والرقاق والأحوال؛ فإنه اعتمد في كتاب الزهد على المأثور
 عن الأنبياء - صلوات الله عليهم - من آدم إلى مُحَمَّد، ثُمَّ على طريق الصحابة
 والتابعين، ولم يذكر من بعدهم.

وكذلك وصفه لآخذ العلم: "أن يكتب ما جاء عن النَّبي ﷺ، ثُمَّ عن
 الصحابة، ثُمَّ عن التابعين، وفي رواية أخرى: ثُمَّ أنت في التابعين خير" اهـ^(١).
 فلا تقديس للأشخاص .

الختامة :

والحاصل أن الهجوم على الخطاب الديني، مركب مهدته الدول الغربية، مستغلة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وركبه بعض الدعاة الذين نالوا نصيبهم من أهل السنة والجماعة، حيث وصفوهم بأنهم من أهل البدع والأهواء، فصار الطعن في الخطاب الديني السلفي، يوصل هؤلاء وهؤلاء إلى أغراض يريدون تحقيقها، كل بحسبه، ففما تسعى له الدول الغربية وأذناها بذلك الأمور التالية:

(١) توسيع أفق المستمع إعلاميا وذلك بتفريغ الخطاب الإعلامي من النصوص الدينية. واعتماد الأسلوب العقلي والمادي ، تحت مسمى التربية والحوار ونحوهما.

(٢) إشاعة مبدأ التسامح مع الآخر، بصورة تلغي مبدأ البراءة من الكفر والكافر، تحت مسمى الحرية الفكرية، ووحدة الأديان، وأنا نعيش في قرية صغيرة، لا بد من التعايش السلمي.

(٣) دعواهم إلى قراءة جديدة للقرآن العظيم^(١) بفهم معاصر يتواءم مع منظومة الحياة، يعتمد فيه على مجرد الدلالة اللغوية، والعقل، بحيث يلغى ما فيه من تشريعات وأحكام، خاصة في باب الحدود والولاء والبراء.

(٤) جعل الخطاب الديني خطاباً دنيوياً، مفرغاً من معانيه الدينية، فيسعون

(١) ولذا لك جاؤوا بمناهج للف سيرة جديدة هـ ي: (منهج الأسنية النقلية ، ومنهج لبيزية ، ومنهج

الهمو ونطيقا) ، هـ ي مناهج م حرفة تريد إقصاء لف سيرة بالذو ، وتجل القرآن نصاً فـ وحاكماً

تم ول فـ و، ويرد بل فـ ، والله غالب على أمره!

إلى إلغاء الرقابة الشرعية على جميع مناحى الحياة ، سواء كانت فكرية أو كانت فنية أو غيرها. تحت مصطلح يعبرون عنه برفض (الوصاية). وبالتالي لا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ولا نصيحة ولا تناصح، ولا دعوة.

٥ (الدعوة إلى وحدة الأديان وإذابة العقيدة الإسلامية.

وأغراض الدعاة المبتدعة من طعنهم في الخطاب الديني السلفي تتمحور في

التالي:

١ (طرح كل ما يصممهم بسمة البدعة والفرق المخالفة وأهل الأهواء.

٢ (تسويغ مناهجهم وطرائقهم في الدعوة والحزبية.

٣ (تسليط الحكام والقوى الغربية على السلفية التي تمثل الصراط المستقيم وما عليه أهل السنة والجماعة. وما محاولاتهم في وصف أصحاب الإرهاب بـ (السلفية الجهادية) ببعيد عن الأذهان إن شاء الله.

٤ (الوصول إلى الحكم عن طريق تقديم أنفسهم على أنهم يمثلون الحل الإسلامي الذي يمكن أن يتعايش مع الواقع الأوروبي كما تريده القوة الغربية.

٥ (العبث بمقدرات الأمة، عن طريق إبعاد من يمثلون الدين الإسلامي الصحيح عن الساحة، ونبذه بأقبح الأوصاف، تنفيراً للناس منهم!

هذا هو ما يريدونه، وما يسعون إليه من وراء تلك الهجمة على الخطاب الديني، فهم بعبارة شفافة لا يريدون الإسلام كما هو، إنما يريدون إسلاماً على طريقتهم.

والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الحِسَابِ ﴿آل عمران: ١٩﴾.

وقال : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠).

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها^(١).
 ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
 (الأنعام: ١١٥).

(١) من كلام وهب بن كيسان شيخ الإمام ملاك انظر تهذيب (٣٧٣ ١٠).